شروحات العلماء الجزائريين للألفية
شرح البسكري نموذجا

. أ عبد القادر ياشي

جامعة وهران01

ملخص الموضوع

اهتم علماء اللغة بالنحو العربي عبر العصور وكان ذلك في شكل منظومات و متون و كان الهدف من ذلك تيسير النحو العربي لطلاب العلم و اعتبرت ألفية ابن مالك من أشهر المنظومات في النحو فاهتم بها العلماء والطلاب ومن بين هؤلاء العلماء محمد بن عامر الأخضري البسكري ثم أشرت إلى نبذة موجزة لحياته وأهم آثاره ووفاته ثم أشرت إلى دراسة تحليلية لشرحه من خلال الاعتماد على المصادر الثراتية للمادة المقدمة و توظيف الشواهد على اختلاف أنواعها من قرآن و حديث و شعر و ميله إلى التاحليل المنطقي و الإستعانة بأقوال العلماء و إبداء الرأي فيها صراحة و كان ذلك بأسوب سهل و ميسر بعيد عن الغموض و كانت الغاية من ذلك تربوي تعليمي

كلمات مفتاحية

الاهتمام – العناية – العلماء – الجزائريون – الشرح – التعليق – الفية ابن مالك – التحقيق – الدراسة – ابداء الراي – الخصائص – الكلام – الابتداء – النداء – العلم – الصفة – ال تعريف – ابو راس الناصري – المقري – ابو مرزوق التلمساني –

البسكري – البجائي – التنبكتي – الشواهد – القران – الحديث – الشعر – الالفية الصغرى و الكبرى –

Explanations of the Algerian scientists for the Didactics Treaty of Ibn Malek with the study of Bisekri as a sample

Abdelkader Yachi

Abstract

The aim of the study is to shed the light of the didactics treaty of Ibn Malek with 1000 verses in the setting up of grammatical studies , since scientists and students took into consideration and they explained it and commented on it.

This 1000verses received a big reception in every big university since it's full of musicality and contains rhymes as well as because of the simplicity of its terms and words .

Among the Algerian scientists we may mention Mohamed Benameur El Akhdari El Bisekri who studies it like Ibn Marzouk Eladjissi ;El Makari and Abi Ras El Nasri ***.***

Analytical study of the explanation*.*

He Focuses in his analysis on different examples with his opinions on it .

Tendency for analysis

To focus on logical thinking

Tendency for easy style .

To focus on polite form in his responses.

Tendency to convince the reader .

Gradual explanation of the grammar points .

He acquired a solid experience in oral teaching.

To exaggerate in asking questions and giving answers .

To focus on conjugation after mastering words .

To mention syntax points.

To mention examples from the holy Quran ,Hadith and poetry .

***Keywords**: great interest of Algerian scientists for didactic treaty – investigation - survey – explanation – comment – analysis – conjugation – syntaxes – grammar – examples - holy Quran ,Hadith and poetry .*

مقدمة:

لقد اهتم علماء اللغة عبر العصور بالنحو العربي اهتماما بالغا، و لم يقتصر ذلك على التقعيد والتأليف فحسب بل ظهر ميلهم إلى جعل المسائل النحوية في شكل منظومات ومتون قصد تيسيرها عـــلى الباحثين وطلاب العلم، مما أكسب النحو العربي ثراءً علميا وأفكاراً جديدة تجلّت في اجتهادات العلماء وكذا القيمة الكبيرة التي حظيت بها المنظومات والمتون .

وتعد ألفية ابن مالك من أشهر المنظومات النحوية على الاطلاق التي لقيت إقبالا وشيوعاً من قبل الباحثين وطلاب العلم فيما مضى وحتى الآن ، فأصبحت محور نشاطهم ما أدى إلى انصراف الكثير من الدارسين عن كتب النحو مثل الكتاب لسيبويه [1] و الايضاح العضدي[2] لأبي علي الفارسي والمقتضب [3] لأبي العباس المبرد والخصائص [4] لابن جني فأقبلوا عليها شرحاً ونظماً وتعليقاً وتقييداً وإعراباً ووضع حواش حولها في حلّة جديدة ، فذاع صيتها وسار ذكرها عبر بقاع العالم العربي و الاسلامي وما تزال تدّرس في أكبر الجامعات والمعاهد المتخصصة وكان من أهم أسباب هذا الاقبال العظيم كونها نظما ، إذ النظم أكثر علوقاً بالذاكرة وأسهل حفظا عكس النثر [5] ، كما أنّها تتمتع بموسيقى داخلية وايقاع موسيقي تطرب الأذن لسماعه ناهيك عن بساطة لغتها وسلاسة ألفاظها ومفرداتها.

و من بين العلماء الجزائريين الذين شرحوا الالفية " محمد بن عامر الاخضري البسكري " الملقب بـ" الصغير" ، فكان حري بنا كباحثين ان نسلط الضوء على هذه الشخصية الفذة التي عاشت في العصر العثماني .

وحتى لا تترك هذه الكنوز من المخطوطات النفيسة حبيسة الخزائن تنتظر من يخرجها من ظلماتها الى عالم النور ليستفيد منها دارسوا اللغة العربية في مجال الدرس النحوي ؛كان حري بوصفنا باحثين أن ننفض عنها الغبار وذلك بإعادة الاعتبار لها عن طريق التحقيق والدراسة .

ولقد انبرى لهذا العمل الجبار الكثير من العلماء الجزائريين في شرح الالفية والتعليق عليها منهم :

شرح محمد بن مرزوق العجيسي وسمّاها ايضاح السالك على ألفية ابن مالك (ت)	781هـ [6]
شرح عبد الله بن محمد بن أحمد التلمساني (ت)	792 هـ [7]
شرح أحمد بن الحسين بن علي بن الخطيب بن قنفد القسنطيني (ت)	810 هـ [8]
شرح ألفية ابن مالك أبي بكر بن مرزوق الحفيد (ت)	842 هـ [9]
شرح ابن علال وهو إبراهيم بن فائد بن موسى بن علال الزواوي (ت)	857هـ [10]
شرح ألفية ابن مالك لمحمد بن محمد الأخضري البسكري الملقب بالصغّير(ت)	950 هـ [11]
شرح أبي العباس أحمد بابا التنبكتي (ت)	1032هـ [12]

شرح شهاب الدين أحمدبن محمد المقري سماها التحفة المكية (ت)	1041هـ[13]
شرح الألفية لأبي راس الناصري المعسكري (ت)	1238هـ[14]
تعليف على شرح ألفية ابن مالك لمحمد جواد بن علي (ت)	1378هـ[15]

تعريف موجز للمؤلف :

هو محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري البنطيوسي [16] البسكري [17] الجزائري وكنيته : الصُّغَيّر (بضمّ الصاد وفتح الغين) ويعرف بالبنطيوسي نسبة إلى القرية التي ولد فيها ، وقد سمي بمحمد تبركا بالرسول صلى الله عليه وسلم فأصبح اسمه مركبا محمد الصُّغير.

وهو من أسرة متدينة ومحافظة ومتعلمة توارث أفرادها العلم قرونا أبا عن جد، وديارهم ديار علم فأبوه كان من أعيان المنطقة وعلمائها حافظا لكتاب الله له معرفة بأسرار اللغة وفنونها مدرسا بالزاوية التي أنشأها لهذا الغرض ألا وهي زاوية [18]بنطيوس .

مولده :

ولد محمد الصُّغير بن محمد بن عامر الأخضري بواحة بنطيوس التابعة إقليميا إلى ولاية بسكرة ، غير أن كل المصادر والمراجع التي إطلعنا عليها لم تشر من قريب أو بعيد لتاريخ ميلاد هذا العالم الفذ وقد اتصلت بأعيان المنطقة ومفكريها فأكد لنا الأستاذ الباحث عبدالحليم صيد [19] أن مولده كان بالتقريب في منتصف القرن التاسع الهجري أو يزيد بعض الشيء[20]

منزلته بين أهل عصره:

يعتبر العلامة محمد الصّغير بن محمد بن عامر الأخضري من كبار الفقهاء وعلماء عصره ، وهو أحد أعيان منطقة الزيبان عرّف بالإصلاح والتقوى [21] كان يؤم الطلبة للتدريس في الزاوية مشافهة في مختلف صنوف العلوم من فقه وتصوّف واللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها ومبادئ علم الحساب والفرائض [22]

رحلاته العلمية :

مما لاشك فيه أن طلب العلم يتوجب الارتحال إليه والبحث عنه بغية اكتسابه،ولذا قام العلامة محمد الصّغير ابن محمد بن عامر الاخضري برحلات متعددة كان هدفها نهل العلم من منابعه وعن أهله .

رحلته إلى المغرب الأقصى:

جاء في الصفحة مائة وخمسة (105) من الرسالة والورقة الثّـــلاثون (30) من المخطوط (أ) الموسوم بشرح ألفية ابن مالك – رحمه الله – وعلى لسان العلامة محمد الصّغير كنت سألت مشايخنا بالمغرب الأقصى عن هذه المسألة في كلام ابن مالك–رحمه الله–وأن هذا القول يعزّز في اعتقادنا أنه زار المغرب الأقصى وأقام بها طلبا للعلم عن علمائها وبالأخص العالم الفقيه المصلح الورع عبد الله الهبطي ، متأثرا به في آرائه النحوية التي استشهد بها في شرحه للألفية في أكثر من موضع ، ونلمس ذلك في الورقة الخامسة والسّتين (65) من المخطوط .

رحلته إلى البقاع المقدسة :

كانت البقاع المقدسة ممثلة في مكة والمدينة مقصدا لكل العلماء ، وكانت منطقة الزاب آنذاك لكل العلماء والرحالة الذين زاروا البقاع المقدسة ومن بين هؤلاء العلامة الفقيه محمد الصّغير لتأدية مناسك الحج والاطلاع على أحوال المسلمين هناك.

وقد أشار إلى ذلك العالم السخاوي فقال :" هو ممن سمع مني في المدينة المنورة "

أثاره العلمية:

لم يصلنا من خلال المصادر والمراجع التي إطلعنا عليها سوى الترر القليل مما ألف العلامة محمد الصّغير بن عامر الاخضري البنطيوسي البسكرى ، وهذا في اعتقادنا يعود إلى اهتمامه البالغ بتربية الناشئة وإعدادهم عن طريق التدريس مشافهة بزواية بنطيوس.

ومن مؤلفاته :

- شرح مختصر خليل .
- كتاب في التصوف : هاجم فيه من سماهم بالدجاجلة
- كتاب في علم الحساب والفرائض
- شرح ألفية ابن مالك في النحو [23]

وفاته:

كل المصادر والمراجع التي وقعت بين أيدينا لم تشر من قريب أو من بعيد الى تاريخ وفاته ، ولقد تنقلت إلى مدينة بسكرة بحثا عن مصادر تدلني على تاريخ وفاته ، وقد اتصلت بعلماء المنطقة فأشار الأستاذ الباحث عبد الحليم صيد أن العلامة محمد الصغير كان حيا قبل سنة 945 هـ بدليل أن ابنه عبد الرحمن الاخضري نظم قصيدة القدسية وأشار أن والده قد أجاد في التعبير وفي القول فصدق، إذ دحر [24] أقوال الدجاجلة

بحجج دامغة ورد أباطلهم وفندها بأقوال صادقة لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها إذ قال [25]

قَد أَحْسَنَ الْوَالِدُ فِي الْعِبَـــــــــارَةِ * إِذْ قَالَ قَوْلاً صَادِقَ الْإِشَـــــــارَةِ

فَقَالَ فِي أُولائِكَ الدّجَـــــاجِلَـــــةِ * مَقَالَةً صَـــــادِقَـــــةً وَعَادِلَـــةً

وقد تكون هذه الأبيات وكأنها لوالد عبد الرحمان الاخضري ، ولا شك أن والد الاخضري – كان يمتلك القدرة على النظم.

فالاخضري يحدثنا في شرح سلمه أنه لما وصل الى هذا البيت :

هَذَا تَمَامُ الغَرَضِ الْمَقْصُـــــــودِ * مِنْ أُمّهَاتِ المنْطِقِ الْمَحْمُودِ

أشار له والده محمد الصغير بأن يدخل هذا البيت ضمن نظم سلمه وهو

قَدِ انْتَهَى بِحَمْدِ رَبّ الْفَلَقِ * مَارُمْتُهُ مِنْ فَنّ عِلْمِ الْمَنْطِقِ

يقول الأخضري:

هذا البيت لوالدنا سيدي الصّغير محمد بن محمد" رضي الله عنه وأرضاه"[26]

هذه الدلائل تشير ان محمد الصّغير يحتمل أنه كان حيا أثناء 945 هـــ على رأي عبد الحليم صيد وأن وفاته قد تكون مابين 945 هـــ و950 هـــ على ماأخبرني به الباحث عبد الحليم صيد[27]

دراسة تحليلية للشرح:

الغرض من شرح الألفيّة :

ممّا لا شكّ فيه أنّ الغرض البارز من شرح ألفيّة ابن مالك هو تعليميّ تربويّ موجّه بالدّرجة الأولى إلى الطّلاب والدّارسين على اعتبار أنّ العلاّمة أفنى حياته مدرّسا في الزّاوية الّتي أنشأها أبوه لهذا الغرض.

ويمكن حصر الغرض في العناصر الآتيـــّة :

– الإعتماد على الأصول المعرفيّة والمصادر التّراثيّة حتّى تكون المادّة العلميّة ا لمقدّمة ثريّة ومفيدة للدّارسين .

– حرصه على توظيف الشّواهد على اختلاف أنواعها من آيات قرآنيّة وأحاديث وأشعار حتّى يعزّز حكم المسألة النّحويّة .

– استعانته بأقوال العلماء في مواضيع متعدّدة بهدف تأصيل القاعدة النّحويّة، وتأكيد الفهم وتثبيت الحكم في أذهان القرّاء .

– الميل إلى التّحليل، والاستنباط، وإبداء الرّأي في كلّ المسائل المطروحة دون الاكتفاء بغرض آراء العلماء حتّى يتفرّد بالحكم ويؤصّل طريقة جديدة في شرح المسائل النّحويّة والتّعليق عليها وذلك إفادة للقارئ وتبسيطا له .

– التّحلّي بأخلاق العالم والمعلّم والمتعلّم من تواضع، وحسن خلق، وأدب في الاختلاف والمناقشة، والتزام الموضوعيّة، ونلحظ هذا في ثنايا شروحاته للألفيّة إذ يستخدم عبارات شيخنا، رحمه الله – قال بعض مشايخنا – رضي الله عنه .أستاذنا وهي عبارات المدح والثّناء الّتي تنمّ عن تواضع العلاّمة واحترامه للعلماء .

– اعتماده على التّفكير المنطقي الّذي يظهر من خلال القيّاس، والشّرح، والتّعليل، والأخذ والرّد وهي سمة عند العلاّمة محمّد الصّغير .

– ميله إلى الأسلوب السّهل الممتنع في الشّرح، وذلك لتقريب الفهم وكشف معاني المتن وبسطها بطريقة ميسّرة لذلك يبقى هذا الشّرح للألفيّة من أهم الشّروحات التي يستفيد منها الطّلاب ناهيك عن أهل الاختصاص .

أسلوب الشّارح :

اعتمد العلاّمة محمّد الصّغير بن محمّد بن عامر الأخضريّ على الأسلوب السّهل حتّى يكون الشّرح في متناول الطّلبة، والتّلاميذ، في عصر انحصر فيه التّعليم، وقد تجّنب الغموض والتّعقيد،إذ جاءت ألفاظه، وعباراته واضحة قريبة المأخذ استجابة لرغبة طلاّبه وحرصه الشّديد على توسيع مداركهم بتقريب الفهم، ذلك أنّ متن شرح الالفيّة يتّسم بدقّة المعاني غير أنّه يميل الى التّحليل، والبرهنة، وتعزيز مايذهب إليه بالدّليل، والحجّة الدّامغة مع إبداء رأيه في كلّ المسائل الّتي يتطرّق إليها.

وقد رتّبت الموضوعات النّحويّة وفق طريقة يراها مناسبة حيث استهلّ الشّرح بطلب العون من الله عزّ وجلّ في قوله عونك يا لله يا كريم ثمّ اثنى على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وعلى صحابته الكرام حيث قال " وصلّى الله على سيّدنا ومولانا وعلى آله وصحبه وسلّم

ثم أشار إلى الشّارح ونعنى به محمّد بن محمّد بن عامر الأخضريّ من خلال ذكر اسمه صراحة وأثنى عليه وذلك في قوله :

قال محمّد بن محمّد بن عامر الأخضريّ البسكريّ- تغمّده الله برحمته ومنّه وكرمه-

ثم واصل في شرح الألفيّة فيقول قال محمّد ... إلى آخر الخطبة ويقصد بمحمّد الإمام مالك حيث يبدأ بشرح المتن مستعملا أسلوبا سهلا، ومفهوما في متناول القرّاء وذلك إشارة منه إلى الغرض الأسمى الّذي يرتجيه ألا وهو تبسيط المسائل النّحويّة وتقريبها إلى أذهان طلاّبه، ومتعلّميه من التّلاميذ على السّواء همّه في ذلك توصيل الفكرة ليحصل الفهم للملتقى.

لقد قسّم المؤلّف محمّد الصّغير متن شرح الألفيّة إلى أبواب وفصول فمثلا يبدأ بباب الكلام ويقوم بشرحه مركّزا على الجانب الإصطلاحيّ فيقول : إذا عرّف الكلام في الاصطلاح وخرج بذكر اللّفظ خمسة أشياء : الخطّ والإشارة، والحالة، وحديث النّفس، والتّكليم [28] ثم عرّف التّكليم الّذي هو إجماع الحروف قبل زمن النّطق بها ثمّ أشار إلى الفرق بين الكلام والتّكليم معزّزا مايذهب إليه بأمثلة هادفة غايتها توضيح المعاني، وإقناع القارئ وتقريب الفهم لـــه .

ثم ينتقل في ثنايا المتن إلى أبواب أخرى متّبعا الشّرح، والتّحليل، والتّمثيل منها باب المبني والمعرب، وباب المعرفة وباب اسم الموصول وباب اسم الإشارة وباب العلم .

وقد تطرّق إلى الفصول منها على سبيل المثال :فصل في الضّمير المسمّى فصلا قال في الكبرى[29] :

وَسَمِّ فَصْلاً مُضْمَرًا طِبْقًا تَلاَ * ذَا خَبَرٍ يُعَرِّفُ كَالْمُجْتَلاَ

غير أنّ الفصول قليلة بالقيّاس إلى الأبواب مادام أنّ المؤلّف يميل إلى التّحليل والاستنباط وترجيح الآراء الّتي تناولت تلك المسائل مع إبداء رأيه في كثير من المسائل النّحوية الّتي عرضها العلماء النّحويّون وأبدوا فيها آرائهم صراحة ماينمّ عن ثقافته الواسعة وإطّلاعه على المتون والمصنّفات النّحويّة في عصره.

وقد يلجأ العلاّمة في ثنايا الشّرح، والتّعقيب على الوقوف عند بعض المفردات والجمل ويقوم بإعرابها رغبة منه في تذليل الفهم لما لهذه المفردات والجمل صلة وثيقة بين اللّفظ والمعنى

مثلا في الصّفحة السادسة والعشرين: جملة – خلا الله – يحتمل أن تكون حالا .

وفي الصّفحة السابعة والستون : وقوله : "علمه : مبتدأ وخبره اسم يعيّن المسمّى فالهاء عائدة على اسم وهو في معنى الجنس "والصّفحة الخامسة والثمانون حيث يقول في قوله تعالى : " قل هو الله أحد ".

في أحد الوجهين، والوجه الآخر أن يكون هو مبتدأ والله خبر واحد خبر آخر "

وفي الصّفحة مائة وثلاثة نحو قوله " وكانوا فيه من الزّاهدين " ففيه متعلّق بمحذوف أي زاهدين فيه من الزّاهدين ، سألت بعض مشايخنا عن إعراب الجار والمجرور في هذا النّمط بماذا يتعلّق وما إعرابه ؟ فقال بعضهم تأكيد للمحذوف واستشكله بعضهم.

قلت: يحتمل أن لا يكون له مـــحل، لأنه مفسّر ويحتمل أن يكـــون حالا من فاعـــل الوصف المحذوف.

فهو يشير إلى القاعدة النّحويّة بالتّحليل، والشّرح، وسوق آراء العلماء ثمّ يعقّب عليهم ويبدي رأيه في هذ ه المسائل ما يدلّ على معرفته بالنّحو، واطّلاعه على المسائل النّحويّة من جهة، ومن جهة أخرى يريد إقناع القارئ، ودفعه إلى إعمال الفكر، ومناقشة هذه القضايا وعدم التّسليم بها، فهو يبدي آراءه صراحة وكانت هذه الآراء مخالفة لشيوخه، غير أنّه يعرضها بطريقة متأدبة تنمّ عن احترام وتقدير لهم، ويظهر ذلك من خلال العبارات التّالية :

فهو يقول قال شيخنا –رضي الله عنه– ويقول تارة سمعت عن استأذنا وتارة ما أورده شيخنا الأستاذ .

أمّا المسائل النّحويّة التي يردّ فيها على شيوخه مبديا ر أيه صراحة مثلا والمسألة قيّاسية عند عامة الطّلبة، فلا يعتقدون إلا معناه خافض ومخفوض، صحّ من سماع شيخنا

الهبطي قاله حاكيا عن بعض النّاس نصّوا على ذلك و لم أره نصّا ومثال آخر : وأمّا ما يعرب في حالة ويبنى في أخرى كالمنادى واسم (لا) فلم يتعرّض له – رحمه الله – إلاّ أنّي لم أرتض ماقاله شيخنا هذا – رحمـــه الله

وهناك أمثلة كثيرة أوردها الشّارح في مسائل الرّد على العلماء ما يدلّ على ثقافته الواسعة في المسائل النّحويّة، وقدرته على الإتيان بالبديل بطريقة مهذّبة تنمّ عن احترامه لهم .

منهج الشّارح :

يعدّ المنهج اللّبنة الأساسيّة في أيّ عمل فكريّ ويختلف المنهج باختلاف الموضوع الّذي يكتب فيه، والفئة الموجّه إليها، فيسعى الشّارح من خلاله إلى تحقيق غايته، وبه تبسط المادّة العلميّة الّتي تبلّغ إلى القارئ وبه تتجمّع المسائل المتناثرة لأيّ علم من العلوم، إذ بـــه تحقّق النّتائج المنتظرة .

لمّا كان هذا المخطوط عبارة عن شرح لمتن الألفيّة من طرف العلاّمة محمّد الصّغير بن محمّد

ابن عامر الأخضريّ، فقد جاءت الموضوعات، والأبواب مرتّبة حيث لجأ إلى الشّرح المفصّل، والدّقيق للمسائل النّحويّة المعالجة، وتفسيره للمصطلحات النّحويّة، فكان يركّز على تحليلها، وتوضيحها، وإبراز دلالتها لغرض استيعابها من طرف الطّلبة والمهتمّين باللّغة مثالا عن ذلك قال واوي العين من القول ومضارعه يقول بالضّم .

وأمّـــا قال يقيل بالكسر فهو من القيلولة [30] فهو ذلك يهدف إلى تعليم الطّلبة المبتدئين و يسهّل عليهم حفظ قواعد اللّغة من نحو، وصرف ويقرّب إليهم فهم المعاني الصّعبة الّتي إحتواها المتن ولهذا الغرض يقول العلاّمة محمّد الصّغير توضيح ماانبهم في نظم الألفيّة لابن مالك– رضي الله عنه – .

وبهذا يمتلك محمّد الصّغير خبرة واسعة في فنّ التّعليم، وتلقين العلوم نظرا للأدوات التّعليميّة الّتي استعان بها في شرح الألفيّة منها :

التدّرج والتّسلسل في عرض المسائل النّحويّة .

يبدو التّدرّج في عرض المسائل النّحويّة واردا إذ ينطلق من البسيط إلى الصّعب ومن المعاني السّهلة إلى المستغلقة ومن الكلّ إلى الجزء .

حيث يبدأ بتعريف الكلام، ويركّز على الجانب الاصطلاحيّ فيه إذ يقول الكلام في الاصطلاح وخرج بذكر اللّفظ خمسة أشياء الخطّ، والإشارة، وحديث النّفس، والتّكليم ثم ينتقل إلى التّحليل، و التّفريع، فالتّكليم هو إجماع الحروف قبل زمن النّطق بها ثم يتعمّق في شرحه لذلك من خلال إبراز الفرق بينهما إذ يقول فحديث النّفس لم يقصد به الإبراز، والتّكليم يقصد به الإبراز ثم يواصل إسهابه في المعاني الّتي يخرج إليها التّكليم كالإشارة باليد أو باللّسان هذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على تبحّره في القضايا اللّغوية وتمكنّه من أسرار اللّغة العربيّة نحوها، وصرفها .

فالعلامة يعرض المسائل النّحويّة لكلّ باب يفصّل لها الفصول، والأجزاء، والتّنبيهات مراعيا التّسلسل المنطقي على اعتبار أنّ الأسس المنهجيّة، والتّعليميّة تتطلّب ذلك في تحصيل العلوم ، ويؤكّد هذه الحقيقة العالم عبد الرّحمان بن خلدون إذ يقول :

يكون التّعليم مفيدا إذا كان التّدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أوّلا مسائل من كلّ باب من الفنّ، ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال[31] .

وقد استعان المؤلّف بكثير من المصطلحات قصد توضيح المعاني، وإبراز الدّلالات حتّ ييسّر للملتقى سبل تحصيل العلم منها : مصطلح الباب والفصل .

ظاهرة التّحليل النّحوي :

لا مناص أنّ الميزة الّتي ينفرد بها العلاّمة محمّد الصّغير بن محمّد بن عامر الأخضريّ في شرحه لألفيّة ابن مالك أنّه يعتمد على التّحليل للمسائل النّحويّة فهو لا يكتفي بجمع الشّواهد حولها ليثبتها فحسب بل يميل إلى الشّرح، والتّحليل، والتّعقيب مايدلّ على ثقافته الواسعة وتمكنّه من الدّرس اللّغوي، ولنا في ذلك أمثلة متعدّدة في ثنايا المتن مثل : فأجبت عنه بوجود المعرب في أسماء الأفعال والبناء أصل في الأصل وبوجود المبعد في أفعل من اسم الفاعل وهو الإعراب .

ومثال آخر على قدرة المؤلّف على التّحليل والمناقشة قوله :

فالجواب أن اللّبس يحصل عند الإضافة بين المثنّى، والواحد نحو جاء فتى زيد، يحتمل لفظ فتى الواحدة، والمثنّى لو حذف اللاّم وهذا مأمون في اسم الإشارة لعدم إضافته.

استخدامه لظاهرة السّؤال والجواب :

لقد أكثر المؤلّف من طرح الأسئلة على اختلاف أنواعها وهذه الأسئلة في اعتقادنا غايتها الحصول على أجوبة في المسائل النّحويّة وهذا دأب المربّي الّذي يسعى من خلالها إلى جذب المتعلّم إليه تارة، ولفت انتباهه تارة أخرى ثم مايلبث أن يجيب عنها بصيغة، فالجواب، وقد تضمّن المتن أكثر من ثلاثين مرّة، وهو موزّع على المتـــن كلّه، إذ يـــردّ الشّارح على القضايا اللّغويّة المطروحة بنفسه، ولعمري هذه طريقة تربويّة حديثة يلجأ إليها المـــربّي لجـــذب المتلقّي

وتشويقه للدّرس اللّغوي بطريقة متأدّبة، فعلى سبيل المثال يطرح السّؤال فيقول فكيف يصحّ تفسير الإنشاء بالخبر؟

ثم يشرع في الإجابة إذ يقول قلت هذا من باب النّقل أي انتقل الخبر إلى الإنشاء ثم يقول فإن قلت من أين يخرج الكلام المفيد ؟ غير المقصود ككلام السّكران . قلت من قوله كاستقم

فلو كانت غايته طرح الأسئلة وانتظار الإجابة من الطّلبة لما كان يجيب مباشرة عليها، فهذه طريقة بيداغوجية يستعملها المربّون لشدّ انتباه المتعلّمين، والحفاظ على تركيزهم إزّاء الدّرس اللّغوي .

ومثال على ذلك : إذ يقول فأين؟ وكيف؟ يقعدان موقع ماقيل (أل) وإن كان لا يقبلان بأنفسهما فأين معناها في أيّ مكان، وكيف معناها على أيّ حال ومكان [32] .

ثم يشرع في الإجابة عن الأسئلة المطروحة سلفا فيقول:والتقدير: أي رجل زيد وماهذا معناه أي شيء هذا .

ثم يواصل منفصلا الإجابة عن الأسئلة التي طرحت مايدلّ على تمكن المؤلف من طريقة تقديم الدروس من خلال إبقاء أذهان المتعلّمين متعلّقة بما يقدّمه لهم .

كما أن المؤلّف لا يكتفي بتوجيه الأسئلة لطلاّبه، وإنّما يوجّهها إلى مشايخه بطريقة متأدّبة مثل في قوله (هل من خالق غير الله؟) [33] ثم يعقب عليه بقوله : أجاز بعضهم أن يكون فاعلا [34] وهناك من الأسئلة الكثيرة التي وردت في ثنايا المتن، وقدرة المؤلّف على الإجابة عنها ومثال على ذلك ولماذا يتعلق وما إعرابه ؟

وانظر هل ترسم الموصولة متّصلة في الخط كلّها أسئلة هدفها دفع المتعلّم إلى التّركيز عليها ثم ما لبث أن يشرع في الإجابة عنها، فيخفّف عناء البحث لطلاّبه عنها فيجعلهم دائما حاضري الذّهن، مركّزين على موضوع الدّرس وتلك هي عين الطّريقة التّربوية المجديّة والنّافعة.

ميله إلى ظاهرة الإعراب:

لجأ المؤلّف إلى ظاهرة الإعراب في متن شرح الألفيّة في أكثر من موقع ممّا يوحى بمعرفته باللّغة العربيّة وأسرارها، وإبراز الفروق بين العلماء في ظاهرة الإعراب حتى يوضّح أكثر ويدقّق في بعض المسائل النّحويّة التي فيها اختلاف، ونلمس هذا في كثير من ثنايا المتن

مثلا قال : هذه عرفات مباركا فيها، فنصب مباركا على الحال ولو كان نكرة

مثلا:قلت في نظر الاحتمال أن تكون الباء متعلّقة باسم الفاعل محذوف يكون حالا من ضمير جمعا

مثلا:وقوله :(علمه): مبتدأ خبره اسم يعين المسمى فالفاء عائدة على اسم وهو معنى الجنس

مثلا:نحو قوله : هو الله أحد : فالوجه الآخر أن يكون هو : مبتدأ والله خبر وأحد خبر آخر

قوله : هل من خالق غير الله ؟ جوّز بعضهم أن يكون فاعلا أعني غير بخالقِ لاعتماده على أداة الاستفهام نحو أقائم زيد في أحد وجهيه وفيه نظر

مثلا : فتقول : أقيام الزّيدون وأنت تعتقد أن "الزّيدون" فاعل

مثلا : أن يكون الخبر فعلا نحو زيد قام وعلّله المصنف للبسه بالفاعل

إشارته للمسائل الصّرفيّة:

لا ريب أن المؤلّف أشار في أكثر من موقع للمسائل الصّرفيّة على إعتبار أن النّحو مرتبط بالصّرف، وكل منهما يخدم الدّرس اللّغوي فمثلا : وأما قال يقيل بالكسر فهو من القيلولة وعينه ياءُ .

ومثلا قوله: رُبَّ عينه تحتمل الحركات الثّلاث والسّكون، فالفتح منتف من وجود الإدغام

ومثلا قوله : ومضي هو مصدر أصله مضيُ فأُعِل

ومثلا قوله : تقول في جمعه بالياء والنّون : ديّن وأصله ديِنٌ[35]

ومثلا قوله : قيل : حذفن في الجزم لنخالف الجزم الرّفع، لأنّه لمّا كان الرّفع بالحركة وهو الأصل فيها ثم استثقلت بقي لفظ الألف، والواو، والياء ساكنا، وكرهوا أن ينوب السّكون فيها فحذفوها

ومثلا فإنّه لم تستعمل بنيته النّكرات، واستعملت مادة :[س.ع.د] في السّعد والسّعاد والسّعدان وغير ذلك .

الهوامش

1- الكتاب لسيبويه : من المصادر في النحو العربي طبع عدة مرات أجودها تحقيق عبدالسلام هارون.

2-الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي من الكتب النحوية المختصرة طبع عدة مرات تحقيق حسن الدكتور حسن شاذلي فرهود

3- المقتضب لأبي العباس المبرد من أهم المصادر النحوية حققه عبد الخالق عظيمة

4- الخصائص لإبن جني من أجلّ الكتب التي تناولت أصول النحو والمباحث الصرفية حققه محمد علي النجار

5- ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون1/151 لحاجي خليفة دار الفكر الطبعة السادسة سنة 1360 هـ-1941م

6- ينظر معجم المؤلفين 16/9 وكشف الظنون 154/1

7-ينظر تعريف الخلف برجال السلف 56/2 للحفناوي سلسلة أنيس الجزائر 1991

8- ينظر معجم المؤلفين 205/1

9- ينظر تعريف الخلف برجال السلف 156/1

10- ينظر معجم المؤلفين 73/1 ونيل الابتهاج بتطريز الديباج ص 57 لاحمدبابا التنبكتي دار الكتب العلمية بيروت

11- ينظر مخطوط الألفية الورقة (01)

12- ينظر تعريف الخلف برجال السلف 16/1

13- ينظر اتحاف ذوي الاستحقاق 75/1 لابن غازي

14- فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ص189 لأبي راس الناصري طبع في المؤسسة الوطنية للكتاب ستة 1986 حققه عبد الكريم الجزائري .

15- ينظر معجم المؤلفين 164/9

16- بنطيوس : واحة من واحات الزاب الغربي تبتعد عن بسكرة بحوالي 45 كلم تشتهر بزراعة النخيل

17- بسكرة : إحدى المدن الجزائرية الواقعة في الجنوب الشرقي للجزائر

18- قمت بزيارة إلى الزاوية أين دفنت العائلة (الأب والابن والأم) وبجوارها مسجد تقام فيه الصلوات الخمس بتاريخ 2012/03/30

19- عبدالحليم صيد باحث من أبناء المنطقة له اهتمامات بتراث المنطقة له كتاب : موجز عن بعض المعاصرين من فقهاء الجزائر بالإضافة إلى نشره مقالات متعددة في التاريخ والأدب

20- أخبرني بذلك أثناء زيارتي له في بيته الكائن ببسكرة بتاريخ 2012/03/31

21- ينظر تاريخ الجزائر الثقافي 1/ 500 لأبي القاسم سعد الله ط1 دار الغرب الإسلامية بيروت

22- ينظر الجوهر المكنون في الثلاثة فنون رسالة ماجيستير تحقيق ودراسة بقدار الطاهر جامعة وهران

23- ينظر تاريخ الجزائر الثقافي ج507/1 لأبي القاسم سعد الله دار الغرب الإسلامي

24- ينظر آثار عبدالرحمان الاخضري رسالة ماجستير ص29 تيبر ماسين والعقد الجوهري ص 25

25- ينظر المصدر نفسه ص 29

26- ينظر أثار عبد الرحمان الاخضري رسالة ماجستير عبد الرحمان ص31/30 والعقد الجوهري ص 25

27- قد تأكدت من هذه المعلومات في بيت الباحث عبد الحليم صيد بمدينة بسكرة بتاريخ 2012/03/31

28- ينظر المخطوط 1/أ و الرسالة ص 23

29- ينظر المخطوط ص 25/أ و الرسالة ص 86

30- ينظر المخطوط 01 / أ و الرسالة ص 21

31- ينظر مقدمة ابن خلدون 590/1 تحقيق محمد الدرويش سنة النشر 1425هـ

32- ينظر المخطوط ص 11/أ و الرسالة ص 60

33- ينظر المخطوط ص 36/أ و الرسالة ص 125

34- ينظر المخطوط ص 36/أ و الرسالة ص 125